

محاضرة بعنوان: المنهج التجريبي



أولاً: التأسيس المفاهيمي للمنهج التجريبي

لغة:

التجربة تعني الاختبار، والمحاولة، والامتحان لبيان حقيقة الشيء.

اصطلاحاً:

هو المنهج الذي يعتمد على التدخل الفعلي المتعمد للباحث في مجرى الظاهرة الطبيعية أو الاجتماعية، من خلال اصطناع ظروف معينة (التحكم في المتغيرات) لمراقبة ما سينتج عنها، بهدف الوصول إلى العلاقات السببية (قانون الظاهرة).

الفرق بين **الملاحظة العابرة** و**التجربة المعتمدة** في المنهج التجريبي؛ الملاحظة هي أن تشاهد الظاهرة كما تحدث في الطبيعة (سلبية)، بينما التجربة هي "ملاحظة إيجابية" أين يقوم الباحث بتعديل الظروف.

ثانياً: رواد المنهج التجريبي

الحسن بن الهيثم

أسس ما أسماه بـ "الاعتبار" (وهو مرادف للتجريب)، حيث رفض مسلمات اليونان حول الرؤية، وأثبت بالتجربة (الغرفة المظلمة) أن الضوء ينعكس من الأشياء إلى العين وليس العكس.

فرانسيس بيكون

الفيلسوف الإنجليزي الذي شن هجوماً على المنطق الأرسطي (الاستنباطي المجرد)، وأسس في كتابه "الأورغانون الجديد" لضرورة الاعتماد على "الاستقراء والتجربة" لفهم الطبيعة والسيطرة عليها.

كلود برنار

الطبيب الفرنسي الذي وضع في كتابه "مدخل لدراسة الطب التجريبي" الخطوات الدقيقة والصارمة للمنهج التجريبي، والتي لا تزال معتمدة لحد الآن.

ثالثاً: أسس وخطوات المنهج التجريبي

يمكن حصرها في:

1. الملاحظة العلمية الدقيقة:

الانتباه لظاهرة معينة تثير تساؤلاً (مثال: ملاحظة ارتفاع معدل حوادث المرور رغم جودة الطرقات).

2. الفرضية

تخمين ذكي أو تفسير مؤقت يضعه الباحث لحل المشكلة (مثال الفرضية: سبب الحوادث ليس الطرقات بل العامل البشري).

3. التجربة

يقوم الباحث باختبار الفرضية عبر التحكم في:

أ- المتغير المستقل: السبب الذي نتحكم فيه.

ب- المتغير التابع: النتيجة محل القياس.

4. القانون العلمي (التعميم)

إذا أثبتت التجربة صحة الفرضية، تتحول إلى قاعدة عامة أو قانون علمي.

تطبيقات المنهج التجريبي في العلوم القانونية والإدارية

في العلوم الجنائية

كانت دراسة الجريمة تعتمد على الفلسفة والتأمل، التي ركزت على الجريمة كفعل مجرد. تدخل لومبروزو (وهو طبيب شرعي) لينقل التركيز من "الجريمة" إلى "المجرم" باستخدام أدوات العلم التجريبي والبيولوجي. التطبيق التجريبي حيث قام لومبروزو بتشريح جماجم مئات المجرمين (أشهرهم قاطع الطريق "فيليبلا")، واستخدم الملاحظة العيادية والقياسات الأنثروبولوجية (قياس حجم الجمجمة، طول الأطراف، ملامح الوجه). النتيجة (الفرضية والقانون) توصل إلى نظرية "الرجل المجرم" (L'Uomo Delinquente)، وحتمية الإجرام (المجرم بال ميلاد).

2. تجارب هوثورن (المنهج التجريبي في الإدارة العامة)

أجريت هذه التجارب في أواخر العشرينيات في مصانع "هوثورن" التابعة لشركة ويسترن إلكتروك الأمريكية، بقيادة العالم "إلتون مايو"؛ الذي عمد إلى إجراء جملة من التجارب لمعرفة أثر الظروف المادية على إنتاجية العمال.